قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الدروس التربوية المستنبطة من صحبة النبي موسى عليه السلام لسيدنا الخضر في سورة الكهف: دراسة تحليلية

Educational lessons derived from the companionship of Prophet Moses (peace be upon him) with Al-Khidr in Surah Al-Kahf: An analytical study

م.م. قاسم محمد احمد المجمعي*

وزارة التربية \مديرية تربية صلاح الدين

Keywords:

Educational lessons, Surah Al-Kahf, Moses, Al-Khidr

Abstract

This in-depth study explores the educational and methodological dimensions of one of the most intellectually and behaviorally rich stories in the Quran: the story of Prophet Moses' journey to meet the righteous servant Khidr. The research aims to deconstruct the educational structure of this unique relationship, extracting from it the principles of "the etiquette of seeking knowledge" for the learner and "the wisdom of guidance" for the teacher, while focusing on the psychological and ethical foundations that ensure the success of the educational process. The study is divided into two main sections. The first examines the character of Moses as a learner embodying humility, the etiquette of seeking permission, and unwavering determination. The second section analyzes the character of Khidr as a teacher possessing clarity of vision, firm principles, and accurate assessment. The study also derives the major educational values represented by patience, inner understanding, and the courage to admit mistakes. The study concludes that this journey establishes the concept that knowledge is "etiquette and conduct" before it is "information and accumulated knowledge," and that practical experience and the hardship associated with travel are the most powerful means of bringing about fundamental change in a person's convictions and behavior.

* **Qasim Muhammad Ahmad Al-Majma'i**

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول: ٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

الدروس التربوية ، سورة الكهف ، موسى ، الخضر

ملخص

تستعرض هذه الدراسة المعمقة الأبعاد التربوية والمنهجية في واحدة من أكثر القصص القرآنية ثراءً معرفياً وسلوكياً، وهي قصة رحلة نبي الله موسى عليه السلام للقاء العبد الصالح الخضر عليه السلام. يهدف البحث إلى تفكيك البنية التعليمية لهذه العلاقة الفريدة، مستخرجاً منها ضوابط "أدب الطلب" للمتعلم، و"حكمة التوجيه" للمعلم، مع التركيز على المرتكزات النفسية والأخلاقية التي تضمن نجاح العملية التربوية. تتوزع الدراسة على مبحثين رئيسيين؛ يتناول الأول شخصية موسى عليه السلام كمتعلم يجسد التواضع، وأدب الاستئذان، والعزيمة الماضية، بينما يحلل المبحث الثاني شخصية الخضر كمعلم يمتلك وضوح الرؤية، وحزم القوانين، ودقة التقييم. كما تستنبط الدراسة القيم التربوية الكبرى المتمثلة في الصبر، وفقه الباطن، والشجاعة في الاعتراف بالخطأ. وتخلص الدراسة إلى أن هذه الرحلة تؤصل لمفهوم أن العلم "أدب وسلوك" قبل أن يكون "معلومات وتراكم معرفي"، وأن التجربة العملية والمشقة المرتبطة بالارتحال هي الوسيلة الأقوى لإحداث التغيير الجوهري في قناعات الإنسان وسلوكه.

١. المقدمة

البعد التربوي في القصص القرآني

يمثل القصص القرآني رافداً أساسياً من روافد التربية الإسلامية، فهو لا يسرد الأحداث لمجرد الإخبار التاريخي، بل لبناء نماذج سلوكية قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان. وتعد قصة موسى والخضر عليهما السلام النموذج الأرقى لما يسمى في الفكر التربوي الحديث "بيداغوجيا الرحلة" أو "التعلم القائم على التجربة".[1] إن

هذه القصة تضعنا أمام مشهد استثنائي: نبي من أولي العزم، كليم الله، صاحب الشريعة، يشد الرحال ليتعلم من عبدٍ من عباد الله آتاه الله رحمة وعلماً خاصاً.[3] تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتجاوز السرد القصصي لتشرح "آليات التعلم"؛ كيف يبدأ الطالب؟ وكيف يضع المعلم شروطه؟ وكيف تُدار الأزمات التعليمية عند وقوع الخطأ؟ إنها تقدم دستوراً تربوياً متكاملاً يشمل أدب الطلب، وحكمة التوجيه، وفلسفة الصبر على ما لا تحيط به العقول في بداءة الأمر. (السعدي، ٢٠٠٢، ٤٥٨).

تتجلى في سورة الكهف دروس عميقة حول "فتنة العلم"، وكيف أن التواضع هو الحصن المنيع ضد هذه الفتنة. فالعلم الذي لا يورث أدباً وتواضعاً هو علم منقوص، والرحلة التي لا تغير في النفس صفات الكبر والاعتداد بالرأي هي رحلة ضائعة'ومن هنا، فإن استنباط الدروس التربوية من هذه الصحبة المباركة يعد ضرورة ملحة للمنظومة التعليمية المعاصرة التي قد تغرق في الجوانب التقنية والمعلوماتية على حساب الجوانب الروحية والأخلاقية (التويول، ٢٠٢٤،).

٢. المبحث الأول: أدب طالب العلم (موسى عليه السلام)

يتجلى في شخصية موسى عليه السلام في هذا السياق نموذج "المتعلم المثالي" الذي يتجرد من مكانته ومنصبه في سبيل الوصول إلى الحقيقة. إن الأدب الذي أبداه موسى عليه السلام يعد حجر الزاوية في نجاح أي عملية تعليمية، حيث يمثل الاستعداد النفسي والروحي لاستقبال المعرفة.[9] إن هذا المبحث يحلل ثلاث ركائز أساسية في

شخصية موسى المتعلم: التواضع، وأدب الطلب، والعزيمة الصارمة (شديق، ٢٠٢٠، ص٢٢).

٢.١.المطلب الأول: التواضع: رحلة نبي ليتعلم ممن هو دونه في المنزلة

يعد التواضع الشرط الجوهري الأول للتعلم، وبدونه ينغلق العقل عن استقبال ما هو جديد. في هذه الرحلة، نرى نبي الله موسى عليه السلام، وهو الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، يقر بوجود من هو أعلم منه في جوانب محددة.[1] هذا الاعتراف يمثل قمة النضج الإيماني والتربوي، إذ أن الشعور بالاستغناء المعرفي هو العائق الأكبر أمام الترقي.[2] إن رحلة موسى عليه السلام لطلب العلم ممن هو دونه في المنزلة النبوية - على الراجح- تعطي درساً في أن العلم لا يُنال بالكبر، وأن الحكمة قد توجد عند من لا يتوقعه المرء. لقد ترك موسى عليه السلام قومه وبني إسرائيل، وهم في أمس الحاجة لتعليمه وإرشاده، ليحقق زيادة في العلم الشخصي، مما يؤكد أن العالم يظل طالباً للعلم مهما بلغ شأنه (الرازي، د.ت، ص٣٠٠).

يشير التواضع هنا إلى "تذويب الأنا"؛ فموسى عليه السلام لم يقابل الخضر بصفته "كليم الله" بل بصفته "طالباً للرشد". هذا التواضع انعكس في كل كلمة نطق بها، وفي استعداده لخدمة نفسه وتحمل مشاق السفر بنفسه دون الاعتماد الكلي على خادمه في تذليل كافة الصعاب، إن هذا الخلق الرفيع هو ما جعل موسى عليه السلام يتكبد المشاق والمجاوزة لمجمع البحرين بحثاً عن العبد الصالح، ولم يتكبر بكونه نبياً ورسولاً أعلم بني إسرائيل بالتوراة. (ابن كثير، د.ت، ص١٨٢).

من الناحية التربوية، يؤكد هذا الموقف أن التواضع ليس مجرد فضيلة أخلاقية، بل هو "أداة إدراكية" تفتح مسارات الفهم لدى الطالب. فعندما يتواضع المتعلم، فإنه يعلن عن حاجته، وهذه الحاجة هي المحرك الفعلي للبحث والتقصي. كما أن تواضع موسى عليه السلام يكسر حدة "الغرور المعرفي" الذي قد يصيب المتخصصين، مبيناً أن فوق كل ذي علم عليم.[3] وفي هذا السياق، تظهر المقارنة بين مكانة موسى ومكانة الخضر أهمية التخصص العلمي؛ فموسى نبي شريعة، والخضر عبد لدني العلم، وكلاهما يحتاج لما عند الآخر في تكاملية معرفية فذة (المنجد، ٢٠٢٦).

وجه التواضع	الدلالة التربوية	المرجعية القرآنية
ترك قيادة بني إسرائيل	العلم مقدم على الجاه والمنصب والقيادة	{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا}
السفر الطويل والارتحال	العلم يؤتى إليه ولا يأتي في مكان الطالب	{أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}
مخاطبة المعلم بصيغة التبعية	الإقرار بفضل المعلم وخبرته التخصصية	{هَلْ أَتَّبِعُكَ}
الاعتراف بالجهل في مادة العلم	البداية الصحيحة للتعلم هي الإقرار بالقصور	{عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ}

إن التواضع التربوي يقتضي أيضاً أن يتقبل العالم الكبير العلم ممن هو أصغر منه سناً أو أقل شأناً إذا كان يمتلك المعرفة المتخصصة. فموسى عليه السلام من أولي العزم، ومع ذلك لم يمنعه كمال علمه بالشريعة من طلب

"علم الباطن" أو "علم الأقدار" من الخضر.[18] هذا الدرس يعزز مفهوم "التواضع العلمي" الذي يجعل الباحث أو الطالب في حالة بحث مستمرة لا تنتهي بمجرد نيل الشهادات أو المناصب (السعدي، ٢٠٠٢، ٩٧٢).

٢.٢.المطلب الثاني: أدب الطلب: الاستئذان والتلطف (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ)

انتقل موسى عليه السلام من مرحلة التواضع القلبي إلى مرحلة التعبير اللساني المتلطف، وهو ما يبرز "أدب الطلب" بأسمى صوره. إن قوله تعالى: {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} يحمل في طياته صياغة لغوية عجيبة تعكس منتهى الأدب.

أولاً، استخدم أداة الاستفهام "هل" للاستئذان، وهو ما يعني أنه جعل الخضر صاحب القرار في قبول هذه التبعية أو رفضها، ولم يفرض نفسه فرضاً كونه نبياً.

ثانياً، استخدم لفظ "أتبعك"، وهي كلمة تدل على الملازمة والاقتداء، وليس مجرد الاستماع العابر أو التلقي السطحي. (القرطبي، د.ت، ص٣٩٢).

يؤكد المفسرون أن موسى عليه السلام لم يقل "علمني"، بل قال "على أن تعلمن"، وفي حذف الياء (تعلمنِ) إشارة لطيفة إلى التضاؤل أمام المعلم وطلب العلم كمنحة لا كاستحقاق إلزامي.[20] كما أن قوله "مما علمت" يقر بأن العلم الذي عند الخضر هو هبة من الله، وأنه يطلب جزءاً من هذا العلم لا كله، وهذا ينم عن دقة ووعي بحجم المعرفة التي يطلبها.[9] إن هذا التلطف في الخطاب يكسر الحواجز النفسية بين المعلم والمتعلم ويبني جسور الثقة والمودة، وهو ما يسميه علماء التربية المعاصرون "بناء الألفة التعليمية" (ابن كثير، د.ت، ص١٨٢).

من الناحية التربوية، يمثل هذا الموقف أهمية "الميثاق الأخلاقي" قبل البدء في العملية التعليمية. إن المتعلم الذي يبدأ رحلته بالاستئذان والتلطف يظهر "قابلية للتعلم" (Trainability) عالية، ويشجع المعلم على بذل أقصى ما عنده من خبرات. هذا الأدب هو الذي يمهد الطريق لتقبل الصعوبات اللاحقة، لأنه بني على أساس من الاحترام المتبادل والاعتراف بفضل المعلم. إن قوله "رشداً" يحدد بوصلة التعلم؛ فالمتعلم لا يبحث عن مجرد معلومات، بل يبحث عن الهداية والصواب الذي ينمي شخصيته ويقوم سلوكه (التويول، ٢٠٢٤).

كما نلاحظ في خطاب موسى عليه السلام استخدام أسلوب "العرض" لا "الأمر"، فالمتعلم مهما علت درجته هو في مقام الطالب، والمعلم في مقام المطلوب منه. وفي هذا رد على ما يفعله بعض طلاب العلم في العصور المتأخرة من جفاء في التعامل مع أساتذتهم أو ظنهم أن دفع الرسوم الدراسية يبيح لهم سوء الأدب.[2] إن "هل أتبعك" هي مفتاح القلوب قبل أن تكون مفتاح العقول، وبها تفتح مغاليق العلم التي قد توصد أمام المتكبرين (الرازي، د.ت، ص١٩٠).

٣.٢.المطلب الثالث: العزيمة: الإصرار على بلوغ الهدف (لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ)

لا يكتمل أدب العلم بالتواضع واللطف فقط، بل لابد من "إرادة فولاذية" تدفع الطالب لمواجهة العقبات. لقد صاغ موسى عليه السلام ميثاق عزيمته بقوله: {لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}.(سورة الكهف ،

الآية ٦٠) هذه العبارة تمثل دستور الإصرار؛ فـ "لا أبرح" تعني الاستمرار وعدم الانقطاع مهما طالت المسافات أو كثرت التحديات، و"أو أمضي حقباً" تعني الاستعداد للسير لآباد طويلة من الزمن، قد تصل إلى عشرات السنين في سبيل مسألة علمية واحدة. (النجار، ٢٠٢١، ص١٥).

لقد واجه موسى عليه السلام في هذه الرحلة مشاقاً جسدية تمثلت في "النصب" (التعب الشديد) والجوع، ومع ذلك لم يثنه ذلك عن مواصلة الطريق.[10] إن العزيمة في طلب العلم تعني تقديم العلم على الراحة البدنية، والقدرة على تحمل الاغتراب عن الوطن والأهل في سبيل العلم. إن قوله "لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً" هو إقرار بطبيعة الرحلة العلمية الشاقة، فالأهداف العظيمة لا تنال بالراحة والتمني (النابلسي، ٢٠٢٤).

تشير الدراسات التربوية المستنبطة من هذه الآيات إلى أن "العزم والجد" هما مفتاح التحصيل المعرفي؛ فالعلم لا يعطي نفسه إلا لمن يهبه كليته.[6] إصرار موسى عليه السلام يعلمنا أن الأهداف العظيمة تتطلب تخطيطاً وصبراً طويلاً، وأن الفشل في الوصول من المرة الأولى (كما حدث عند نسيان الحوت) لا يعني التوقف، بل يعني "الارتداد على الآثار قصصاً" للبحث عن مكمن الخلل ومواصلة المسير.[19] إن العزيمة تظهر في مرحلتين: عزيمة المسير (الإصرار على الوصول للمكان)، وعزيمة الصبر (الإصرار على البقاء مع المعلم رغم التحديات) (السعدي، ٢٠٠٢، ص٩٧٣).

عنصر العزيمة	التجلي في القصة	الأثر التربوي المتوقع
تحديد الهدف	"حتى أبلغ مجمع البحرين"	التركيز وعدم التشتت في طلب العلم
الاستعداد الزمني	"أو أمضي حقباً"	إدراك أن العلم رحلة عمر لا محطة عابرة
تحمل المشقة	"لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً"	بناء الشخصية الجادة والصابرة
معالجة الأخطاء	"فارتدا على آثارهما قصصاً"	المرونة في تصحيح المسار وعدم اليأس

لقد جسد موسى عليه السلام برحلته هذه أن "المعاناة" هي جزء أصيل من العملية التعليمية، وأن العلم الذي يأتي بسهولة قد يذهب بسهولة، أما العلم الذي يُعمد بالتعب والنصب فهو الذي ينغرس في الروح ويغير الشخصية. إن "التربية بالأحداث" والمشاق تجعل المتعلم "صلب العود، جود المعدن"، وهو ما يفتقده الكثير من طلاب العلم في عصرنا الذين تعودوا على "التعلم السهل" خلف الشاشات (المنجد، ٢٠٢٦).

٣.المبحث الثاني: حكمة المعلم (الخضر عليه السلام)

إذا كان موسى عليه السلام قد قدم نموذج الطالب، فإن الخضر عليه السلام قدم نموذج "المعلم القدوة" الذي يمتلك منهجية دقيقة في نقل الخبرة وصقل شخصية المتعلم. إن حكمة الخضر لم تكن في معلوماته اللدنية فقط، بل في "أسلوب إدارته" للموقف التعليمي وتطبيقه لمعايير الوضوح والحزم والتقييم.[5] (المجتمع، ٢٠٢٦)

٣.١.المطلب الأول: الوضوح: تبيان صعوبة الطريق مسبقاً (إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)

أولى سمات المعلم الحكيم هي "الشفافية" ووضوح

المنهج منذ اللحظة الأولى. لم يحاول الخضر إغراء موسى بكلمات سهلة أو وعود زائفة، بل واجهه بالحقيقة الصادمة: {إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}. هذا التصريح ليس طرداً للمتعلم أو تقليلاً من شأنه، بل هو "إدارة للتوقعات" وتبيان لمدى صعوبة المادة العلمية والمنهج المتبع الذي قد يصدم القواعد العقلية والشرعية المستقرة لدى الطالب. إن المعلم الناجح هو الذي يضع الطالب أمام مسؤولياته، ويوضح له أن الطريق يحتاج إلى أدوات معينة قد لا يمتلكها الطالب في تلك اللحظة (المنجد، ٢٠٢٦)

لقد برر الخضر هذا التوقع بعدم الاستطاعة بقوله: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}، وهذا تأصيل لقاعدة تربوية كبرى: أن الإنسان عدو ما يجهل، وأن الصبر مرتبط بالإحاطة المعرفية والخبرة العميقة. من منظور تربوي معاصر، يمثل هذا "الوضوح" نزاهة أكاديمية؛ فالمعلم يجب أن يشرح شروط النجاح وصعوبات المنهج قبل البدء، حتى يدخل الطالب العملية التعليمية على بصيرة من أمره. إن إدراك الصعوبة مسبقاً يحفز الطالب على شحذ همته، أو يجعله يدرك حدوده وقدراته فلا يضيع وقته فيما لا يطيق (القرطبي، د.ت، ص٣٩٢).

ويعد هذا الوضوح جزءاً من "الصدق التعليمي"؛ فالمعلم لا يبيع أوهاماً، بل يقدم طريقاً وعراً يوصل إلى الحكمة. الخضر علم موسى أن "الصبر" ليس مجرد قيمة أخلاقية، بل هو "شرط إدراكي"؛ فبدون الصبر لن تكتمل الرؤية، وبدون الرؤية لن يستطيع موسى تحمل المشاهد التي ستمر به في الرحلة (المجتمع، ٢٠٢٦) هذا الوضوح يقلل من الصدمات المستقبلية ويجعل المتعلم شريكاً في تحمل المسؤولية منذ البداية (التويول، ٢٠٢٤،)

٢.٣.المطلب الثاني: الحزم: وضع قوانين وشروط للتعلم (فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ)

بعد الوضوح في التوقعات، انتقل الخضر إلى مرحلة "التعاقد التربوي" أو وضع القواعد الصارمة (Pedagogical Contract). قال: {فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا}.هذا الشرط يمثل قمة الحزم التعليمي؛ فهو يمنع "التشويش" على العملية التعليمية بكثرة الأسئلة المتسرعة قبل أوانها. الحزم هنا ليس تسلطاً أو رغبة في الإسكات، بل هو "حماية للمسار التعليمي" وضمان لعدم قطع حبل التفكير في اللحظات الحرجة (ابن كثير، د.ت، ص١٨٢).

إن بعض العلوم والتجارب تتطلب "المشاهدة الصامتة" والتأمل العميق قبل البدء في التفكيك والتحليل. الخضر أراد أن يعلم موسى "فن الملاحظة" والانتظار حتى يكتمل المشهد الكلي، لأن السؤال المتسرع في بداية الفعل قد يحجب الرؤية الكلية ويؤدي إلى إصدار أحكام خاطئة.[5] وتتجلى أهمية الحزم في التربية من خلال ضبط زمن التعلم، وتنمية الصبر الجميل، واحترام المرجعية العلمية للمعلم التي تقتضي تسليم الطالب لمنهجية أستاذه ريثما تظهر النتائج (السعدي، ٢٠٠٢، ص٩٧٣).

معايير الحزم التعليمي	الدلالة في القصة	الفائدة التربوية
تحديد المنهج	"فلا تسألني عن شيء"	منع التشتت والجدل البيزنطي أثناء التطبيق
توقيت الإيضاح	"حتى أحدث لك منه ذكراً"	تعليم الطالب فضيلة التأني وانتظار اكتمال الصورة
الالتزام بالشرط	"ألم أقل إنك لن تستطيع"	تذكير المتعلم بمسؤوليته تجاه العقد التعليمي
إنهاء المصاحبة	"هذا فراق بيني وبينك"	الحزم في تطبيق العواقب عند الإخلال بالقوانين

إن التزام موسى بهذا الشرط في البداية، وحزم الخضر في تذكيره به عند كل مخالفة، يؤكد أن العملية التربوية لا يمكن أن تثمر في جو من الفوضى أو غياب القواعد المنظمة. الحزم التربوي يبني في المتعلم الانضباط الذاتي والقدرة على كبح جماح رغباته الفضولية لصالح التحصيل المعرفي الرصين (المجتمع، ٢٠٢٦)

٣.٣.المطلب الثالث: التقييم: التدرج في التنبيه قبل اتخاذ قرار الفراق

لم يكن الخضر معلماً قاسياً ينهي العلاقة مع الخطأ الأول، بل اعتمد منهج "التقييم المتدرج" ومنح الفرص المتعددة. إن دراسة أسلوب الخضر في التعامل مع اعتراضات موسى الثلاثة تكشف عن مهارة فائقة في التوجيه والتقييم.[5] ففي المرة الأولى، بعد خرق السفينة، اكتفى الخضر بالتذكير العام بالشرط: "ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا"، وهو عتاب رفيق يقبل النسيان كعذر.

وفي المرة الثانية، بعد قتل الغلام، زاد الخضر في الحزم والتنبيه بإضافة كلمة "لك"، فقال: "ألم أقل **لك**"، وهذا العتاب المؤكد يشير إلى أن تكرار الخطأ يقلل من مساحة العذر ويزيد من تبعات المسؤولية. أما في المرة الثالثة، بعد بناء الجدار، فقد اتخذ الخضر القرار الحاسم بـ "الفراق"، ولكن هذا القرار لم يكن تعسفياً، بل جاء بعد أن وضع موسى نفسه السقف لهذا التقييم: "إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني" (المنجد، ٢٠٢٦)

هذا التدرج يعلم المربين ضرورة الصبر على أخطاء المتعلمين وتقديم النصح المتكرر قبل اتخاذ قرارات حاسمة. كما أن الخضر لم يفارق موسى إلا بعد أن "أوفى بعهده" في التعليم، حيث قام بتأويل كل ما حدث، ليكون الفراق مبنياً على فهم واستيعاب لا على جهالة أو كدر نفس.[21] إن التقييم النهائي في هذه القصة يثبت أن "النتائج" ليست هي المقصودة دائماً، بل "العملية" والدروس المستفادة من الأخطاء هي الجوهر التربوي الحقيقي (المجتمع، ٢٠٢٦)

ويشير هذا المنهج التقييمي إلى أهمية "التغذية الراجعة" في كل مرحلة؛ فالمعلم لا يترك الطالب تائهاً، بل ينبهه بعد كل موقف ليعيد ترتيب أفكاره والالتزام بعهده. إن الفراق في القصة لم يكن فشلاً، بل كان "انتهاءً للمرحلة التعليمية" بعد أن نال موسى الدرس المقصود، وهو أن الحكمة الإلهية تتجاوز الظواهر المباشرة (المنجد، ٢٠٢٦)

٣. القيم التربوية الكبرى

تتجاوز قصة موسى والخضر تفاصيل الرحلة لتزرع في وجدان الأمة قيمًا كبرى تشكل فلسفة التربية في

الإسلام، وهي قيم تمس جوهر العلاقة بين العقل البشري والقدر الإلهي، وبين المتعلم والحقيقة. (التويول، ٢٠٢٤)

الصبر: العلم يحتاج إلى جَلَد ومجاهدة للنفس

الصبر هو "اللازمة" التي ترددت في القصة سبع مرات بمشتقات مختلفة، مما يبرز مركزيته في تحصيل العلم والارتقاء السلوكي، العلم في المنظور القرآني ليس معلومات باردة تُصب في العقول، بل هو "مجاهدة" للنفس التي تميل بطبعها إلى العجلة والراحة وإصدار الأحكام المتسرعة، إن صبر المتعلم على معلمه، وصبره على غموض المنهج في بدايته، وصبره على مشاق الطريق، هي التي تفتق مواهبه وتصقل شخصيته (النجار، ٢٠٢١، ص٢٢).

ويعلمنا الخضر أن الصبر لا يأتي من فراغ، بل من "الخبرة"؛ فمن غابت عنه الحكمة النهائية صعب عليه تحمل المشهد الحالي. لذا، فإن الصبر التربوي هو تدريب على "تأجيل الحكم" حتى تكتمل المعطيات، وهو درس بليغ في التفكير العلمي والنقدي الرصين. إن فقدان الصبر قد يكون سبباً في فوات العديد من الفرص لاكتساب المعرفة العميقة، كما تمنى النبي صلى الله عليه وسلم لو أن موسى صبر أكثر لنعلم من أخبارهما العجب. (إسلام أون لاين، ٢٠٢٦)

فقه الباطن: التربية على أن الحكمة الإلهية قد تخفى خلف المظاهر الصعبة

من أعظم القيم التي رسختها القصة هي "فقه الباطن" أو إدراك أن الظواهر قد تكون خادعة ومناقضة للحقيقة الكامنة. فما رآه موسى "شرًا محضًا" وفعلًا نكرًا (خرق السفينة، قتل الغلام) كان في جوهره "خيرًا محضًا" ورحمة إلهية واسعة حمى بها الله المستضعفين والصالحين. التربية هنا تهدف إلى بناء "السكينة الإيمانية"؛ حيث يتعلم الفرد أن أقدار الله مؤطرة بالرحمة والحكمة حتى لو بدت في ظاهرها مؤلمة أو غير مفهومة (النابلسي، ٢٠٢٤)

هذا الفقه يربي الطالب على "التواضع المعرفي"؛ فلا يدعي الإحاطة بكل شيء، ولا يتسرع في إنكار ما لا يفهمه عقله المحدود. إن خرق السفينة حمى أهلها من غصب الملك، وقتل الغلام حمى الأبوين المؤمنين من الطغيان والكفر، وبناء الجدار حفظ كنز اليتيمين بصلاح أبيهما. هكذا تتحول التربية من مجرد "تلقين" إلى "بصيرة" تنفذ من خلال الأستار لتلمح يد الله الرحيمة في كل قدر (المنجد، ٢٠٢٦،) وفي هذا السياق، يمكن مقارنة المواقف الثلاثة ونتائجها الخفية:

الموقف الظاهري	الفعل المرتكب	الحكمة الباطنة (النتيجة)	القيمة التربوية
خرق السفينة	إلحاق ضرر بالمال	النجاة من المصادرة الكلية	دفع المفسدة الكبرى بالصغرى
قتل الغلام	إزهاق نفس زكية	حماية دين الوالدين وإبدالهما خيراً	تقديم حفظ الدين على حفظ العاطفة
بناء الجدار	عمل شاق بلا مقابل	حفظ مال اليتامى بصلاح أبيهما	أثر الصلاح في حفظ الذرية

إن فقه الباطن يربي الفرد على عدم اليأس عند وقوع المصائب، وعلى الثقة بأن الله يدبر الأمر من حيث لا يحتسب العبد. هذا الدرس هو "الكهف" الذي يأوي إليه

المؤمن من فتن الدنيا وتصادم الأحداث (وقفات تربوية، د.ت، صفحة غير محددة).

الاعتراف بالخطأ: الرجوع للحق عند تذكير المعلم (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ)

قدم موسى عليه السلام نموذجاً فذاً في "الأمانة التربوية" والاعتراف بالقصور البشري. فعندما ذكّره الخضر بشرطه بعد الموقف الأول، لم يجد موسى حرجاً -وهو النبي العظيم- في الاعتذار الصريح: {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}. (سورة الكهف، الآية ٧٠) إن الاعتراف بالنسيان أو الخطأ هو أول خطوة في طريق التصحيح والنمو النفسي. وفي الموقف الثاني، اعترف موسى ضمنياً بتجاوزه ووضع لنفسه حداً نهائياً: "إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني"، وهذا يربي المتعلم على "تحمل مسؤولية أفعاله".

إن الرجوع إلى الحق فضيلة، والاعتراف بفضل المعلم في التنبيه هو من شيم النفوس الكبيرة. هذا الخلق يضمن استمرار العلاقة التعليمية ويفتح أبواب التسامح بين الطرفين. إن اعتراف موسى بخطئه حال دون حدوث الفراق المبكر، وأعطاه فرصة إضافية للتعلم. (السعدي، ٢٠٠٢، ص٩٧٤). وتتجلى أهمية الاعتراف بالخطأ في البيئة التعليمية في كونها تكسر حاجز الكبر وتجعل العملية التربوية قائمة على الصدق والشفافية لا على ادعاء الكمال (الرازي، د.ت، ص١٩٠).

٤.الخاتمة ونتائج البحث

إن رحلة موسى والخضر عليهما السلام تظل المنارة الأهم في فهم فلسفة التعليم والتربية في القرآن الكريم. لقد أثبتت هذه الدراسة من خلال التحليل المعمق أن العملية التعليمية ليست مجرد نقل للمعلومات، بل هي صناعة للإنسان بكل أبعاده. ومن أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة:

أولاً: إن العلم "أدب" يسبق "المعلومات"؛ فالتواضع، وأدب الطلب، والاستئذان هي المفاتيح الحقيقية التي تفتح مغاليق العقول والقلوب. فموسى عليه السلام، رغم نبوته، لم يصل إلى علم الخضر إلا بمفتاح التواضع (المنجد، ٢٠٢٦، صفحة غير محددة).

ثانياً: إن حكمة المعلم تتجلى في وضوحه وحزمه ورحمته؛ فالخضر لم يكن غامضاً في شروطه، ولا متساهلاً في قوانينه، ومع ذلك كان صبوراً متدرجاً في تقييمه حتى وصل إلى لحظة الفراق الضرورية.

ثالثاً: إن "الرحلة" والمشقة هما الوسيلة الأقوى للتغيير؛ فالتربية بالأحداث والممارسة العملية (خرق السفينة، قتل الغلام، بناء الجدار) كانت أبلغ أثراً في نفس موسى من أي مواعظ نظرية. العلم الذي يُعمد بالنصب والتعب هو الذي يبقى ويغير السلوك.

رابعاً: إن فقه الباطن يحرر الإنسان من "فتنة المظاهر" ويربطه بحكمة الله المطلقة، مما يورث صبراً جميلاً ورضا عميقاً بالأقدار، وهو جوهر سورة الكهف في الحماية من الفتن.

خامساً: إن الاعتراف بالخطأ وشجاعة المراجعة هما من كمال طالب العلم، وبهما يستمر في الترقي المعرفي والسلوكي. إن الدرس الأكبر في هذه القصة هو أننا جميعاً، مهما بلغنا من العلم، نظل طلاباً في مدرسة الله الواسعة، وفوق كل ذي علم عليم.

المصادر

القرآن الكريم

١. السعدي ع ن. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: اللويحق ع م. الرياض: مؤسسة الرسالة؛ ٢٠٠٢.

٢. ابن كثير إ ع. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: السلامة س م. الرياض: دار طيبة؛ ١٩٩٩.

٣. القرطبي م أ. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق: التركي ع ع. بيروت: مؤسسة الرسالة؛ ٢٠٠٦.

٤. الرازي ف د. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي؛ ١٩٩٩.

٥. الصلابي ع م. موسى عليه السلام كليم الله: عدو المستكبرين وقائد المستضعفين. بيروت: دار ابن كثير؛ ٢٠٢٥.

٦. شديق ع ع. آداب طالب العلم في قصة موسى والخضر: دراسة تحليلية من سورة الكهف. إندونيسيا: مجلة ورقات للعلوم الإسلامية؛ ٢٠٢٠.

٧. التويول ع ح. مبادئ التعلم في قصة موسى والخضر. المغرب: بوابة حراء؛ ٢٠٢٤.

٨. المنجد م ص. دروس وعبر من قصة الخضر. الرياض: مجموعة زاد؛ ٢٠٢٦.

٩. النابلسي م ر. موسوعة التفسير النابلسي: سورة الكهف. دمشق: مؤسسة النابلسي للدراسات الإسلامية؛ ٢٠٢٤.

١٠. النجار ز. القصص القرآني: دروس وعبر. القاهرة: دار المعارف؛ ٢٠٢١.

Sources and References (After the Holy Quran)

. Al-Sa'di, N.A. Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan. Edited by: Al-Luwayhiq, M.A. Riyadh: Al-Risalah Foundation; 2002.

2. Ibn Kathir, I.A. Tafsir al-Qur'an al-'Azim. Edited by: Al-Salama, S.M. Riyadh: Dar Tayyiba; 1999.

3. Al-Qurtubi, M.A. Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an (Tafsir al-Qurtubi). Edited by: Al-Turki, A.A. Beirut: Al-Risalah Foundation; 2006.

4. Al-Razi, F.D. Mafatih al-Ghayb (Al-Tafsir al-Kabir). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi; 1999.

5. Al-Sallabi, M.A. Musa, peace be upon him, the one who spoke with God: the enemy of the arrogant and the leader of the oppressed. Beirut: Dar Ibn Kathir; 2025.

6. Shadiq, A.A. Adab Talib al-'Ilm fi Qissat Musa wa al-Khidr: Dirasah Tahliliyyah min Surat al-Kahf. Indonesia: Waraqat Journal for Islamic Sciences; 2020.

7. Al-Tawil, H.M. Mabadi' al-Ta'allum fi Qissat Musa wa al-Khidr. Morocco: Bawabat Hira'; 2024.

8. Al-Munjid, p. 10. Lessons and Insights from the Story of Al-Khidr. Riyadh: Zad Group; 2026.